الزرقاوي.. الجيل الثاني للقاعدة (12):

الزرقاوي وضع خطة مفصلة لمواجهة الاحتلال الامريكي.. و«القاعدة» لا تسعى لخروج امريكي سريع من العراق

اعتمد المتشدد الاردني منذ البداية على العنصر العربي السني.. وانتقل من كردستان الى بغداد للمواجهة الحتمية

فؤاد حسين*

■ الشخصية التي يتناولها هذا الكتاب فرضت أنماطا مختلفة من صنوف التصنيف، تارة أسلوب البحث العلمي المعتمد على القراءة والبحث والتمحيص والتلخيص، وقد أخذ هذا الأسلوب نصيبه في فصول هذا الكتاب، وتارة أخرى الاستماع إلى شهادات العشرات ممن عرفوا الزرقاوي أو رافقوه في مختلف محطات حياته، وهذا أخذ وقتاً طويلا بين تدوين تلك الشهادات، ومن ثم تدقيقها، وتمحيصها، ومقارنة الشهادات بعضها ببعض، للوقوف على المعلومة الدقيقة لاستخدامها بعد التحقق من صحتها، وطرح المعلومة الضعيفة واستبعادها، مالم نستطع التثبت منها، وتارة أخرى الطلب من أشخاص بعينهم أن يكتبوا بأنفسهم إجاباتهم على أسئلة طرحناها عليهم، لكن الشاق في هذا الجانب كان الوصول إلى هؤلاء الأشخاص ممن لهم بصمات واضحة، سواء في تشكيل فكر الزرقاوي أو تشكيل منهجه واستراتيجيته، وكانت هذه المرحلة الأصعب من الكتاب، إذ باتت إمكانية الاتصال مع هؤلاء صعبة للغاية، إن لم تكن شبه مستحيلة، بعد الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)، فغالبيتهم إما في السجون أو مطاردون أو مختفون، لكن دون تدوين شهاداتهم، لن يكون للكتاب إضافة معتبرة، فآثرنا تأخير الكتاب شهورا عدة إلى أن وصلنا إلى مبتغانا، وضمنا الكتاب ثلاث شهادات تغطي مراحل تطور مسيرة الزرقاوي.

الشهادة الأولى كانت لأبي المنتصر بالله محمد، وهو الشخص الأول الذي بدأ الزرقاوي معه بناء التنظيم الأول الذي أسسه أبو مصعب عام 1993، وهو تنظيم التوحيد، الذي عُرف لاحقا باسم (بيعة الأمام)، مسجلا بالتواريخ والأسماء والأحداث كل ما تم حتى عام 1999. فآثرنا تلخيص هذه الشهادة دون التدخل في مضمونها، ذلك أن الكثير مما ذكره لم يعد سرا يحمل صفة الجدة، إن لم أقل أنه سبق أن نشر مضمونه بعموميته، لذلك أبقينا على المعلومات التي طرحت للمرة الأولى، وعلى الانطباع الشخصي لصاحب الشهادة وموقفه من تلك الأحداث التي دونها.

الشهادة الثانية كانت للأب الروحي للزرقاوي عصام البرقاوي (أبو محمد المقدسي) الذي التقاه في الباكستان عام 1989، واتفق معه هناك على تشكيل تنظيم ديني في الأردن، وبقي معه في السجن، بادئا معه كرفيق درب وصديق، ثم شيخه الذي ينظر لفكرة التنظيم ويضع أدبياتها، ثم كتابع له بعد أن أصبح الزرقاوي أميرا للمجموعة داخل السجن، ثم منتقدا له وناصحا عن بعد، هو في سجنه بالأردن والزرقاوي في العراق.

الشهادة الثالثة، وهي الأهم كانت للرجل الثالث في القاعدة محمد مكاوي (سيف العدل) الذي يلقي من خلال شهادته الضوء على القدوم الثاني للزرقاوي إلى أفغانستان عام 1999، وأسباب الخلاف بين الزرقاوي وبن لادن، وكيف تم إنشاء معسكر خاص للزرقاوي في هيرات، مبينا طبيعة العلاقة التي كانت قائمة في تلك الفترة بين قيادة القاعدة والزرقاوي، وصولا إلى ضربة الحادي عشر من ايلول (سبتمبر)، وأهداف القاعدة من وراء هذه الضربة، موضحا كم تحقق من تلك الأهداف، مرورا باحتلال أفغانستان والخروج إلى باكستان وإيران، كاشفا طبيعة الدور الذي لعبته طهران حينذاك، وبعد ذلك قرار إدخال الزرقاوي إلى العراق والتحضيرات التي سبقت ذلك. وفي محاولة لاستشراف مستقبل القاعدة في العراق من خلال تطور تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين تتبع الكتاب محطات تطور عمل، وشخصية الزرقاوي، خلال السنوات الثلاث الأخيرة. معتمدين معلومات دقيقة تطلب الوصول إليها استقصاء دقيقا وحثيثا، لكل من كان على تماس مع الزرقاوي خلال تلك السنين.

وللوقوف على مستقبل الحرب المفتوحة بين القاعدة، وواشنطن التي تطلق على حربها تلك مصطلح محاربة الإرهاب الدولي، حاورنا العديد من منظري القاعدة سواء ممن ساهموا في صنع استراتيجياتها في وقت سابق أو من باتوا من صناع قراراتها لاحقا، واستمعنا إلى كل ما يجول بخاطرهم، لنرسم للقراء استراتيجية القاعدة حتى عام 2020، والوسائل التي أتبعوها، والخطط التي وضعوها للوصول إلى تحقيق هذه الاستراتيجية.

في كردستان

وصل أبو مصعب إلى العراق أوائل عام 2002، إلى مناطق الأكراد الشمالية، حيث استضافه هناك تنظيم أنصار الإسلام، وهو تنظيم إسلامي جهادي الفكر والتوجه، كان يخوض حرباً ضد التنظيمات الكردية العلمانية واليسارية المرتبطة بالغرب والشرق، له قواعد منتشرة في جبال كردستان العراقية، التقى هناك أبو مصعب ببعض الشباب الأردنيين الذين كانوا يقاتلون مع أنصار الإسلام، من مثل رائد خريسات ونضال عربيات، طلب هؤلاء من أبو مصعب البقاء معهم، إلا أنه كان يجيبهم: «الأمريكان قادمون ولا بد من الاستعداد لمواجهتهم، ولا بد أن تعتمد المواجهة على العنصر العربي السني الذي يمتلك الإمكانات والقدرات الأوسع والأفضل» فكان اختيار أبو مصعب هو الانتقال إلى بغداد، والى وسط العراق، من اجل القيام بمهمة الإعداد للمواجهة الحتمية القادمة.

كان أبو مصعب متيقنا أن الهجوم الأمريكي البريطاني القادم يستهدف اسقاط النظام، وان الخطة التي سوف تتبع في هذا الهجوم قد تكون شبيهة بخطة مهاجمة أفغانستان، فبدأ أبو مصعب بوضع خطته الخاصة بالتعاون مع اخوته الذين بقوا معه. وكانت خطته ترتكز على النقاط التالية:

1ـ جمع المعلومات السريعة عن كل العراقيين الذين شاركوا في الجهاد الأفغاني في الداخل والخارج العراقي من مثل عمر حديد الذي قتل في معارك الفلوجة الأخيرة، وتقييم أوضاعهم والاتصال بهم وبذل الجهد لاقناعهم بالتصورات المتعلقة بالمرحلة والتعامل معها بوعي.

2ـ اتخاذ منطقة الجزيرة الفراتية قاعدة لقيادة المجموعة، ويرجع سبب هذا الاختيار إلى أن الجزيرة الفراتية مثلث جغرافي متجانس سكانياً، فمعظم سكانه من السنة العرب، وهم من أبناء القبائل العربية المعروفة ويوجد بها أيضا بعض التركمان السنة. لهجة أبو مصعب الأصلية بدوية، قريبة من لهجة سكان هذه المنطقة، وهي تشكل معبراً سهلاً للتنقل ما بين العراق وسورية، وكان لدى أبو مصعب مجموعة جيدة من السوريين يقف على رأسهم رفيقه أبو الغادية (سليمان خالد درويش)، كانت وظيفة أبو الغادية ومهماته متعددة الجوانب، منها الدخول إلى سورية لينشط في منطقته الأصلية حلب وحمص وحماه باتجاه تجنيد الشباب وتنظيمهم، وكذلك لإعادة الاتصال مع إخوانه السوريين المنتشرين في أوروبا بهدف الحصول على أموال من اجل تمويل عمل التنظيم.

3ـ إعادة الاتصال مع بعض الخليجيين من سعوديين وكويتيين من اجل ضمان استمرار الإمداد بالمال والرجال، وفتح قنوات اتصال مع قيادة القاعدة في مناطق أخرى.

4ـ إعادة العلاقات مع عدد من رفاقه في الأردن.

5ـ البدء بجمع السلاح وتخزينه.

نجح أبو مصعب ورفاقه نجاحا جيدا في النقاط الخمس سالفة الذكر. وكان هذا الجهد الذي بذل قبل الهجوم الأمريكي هو الذي مكن أبو مصعب ومجموعته من البدء السريع بالمقاومة، فالعراقيون الذين شاركوا في الجهاد الأفغاني اقتنعوا بفكرة أبو مصعب. وأبو الغادية نجح أيضا في إعداد حوالي 400 شاب سوري، شكلوا جيشاً من الاستشهاديين فيما بعد، وكذلك نجح في الاتصال بمن هم في أوروبا وبدأوا يمدوه بالمال والرجال. كما اقتنع الخليجيون بالفكرة، وأخذ خالد الدوسري الكويتي الجنسية بلعب دور محوري في إمداد أبو مصعب بالمال والرجال والمعلومات، وبفتح خطوات اتصال مع مجموعات القاعدة المنتشرة في العالم، للمشاركة في مشروع أبو مصعب، كما نجح أبو مصعب في إعادة الاتصال باخوته ورفاقه في الأردن، حتى انه غامر بالدخول إلى الأردن سراً، والتقى مع العديد من رفاقه وأطلعهم على ملامح المرحلة القادمة.

اهداف الغزو الامريكي

إذا كان أبو مصعب يمتلك خطة نجح في تنفيذ معظم بنودها قبل بداية الحرب، وهذا مكنه من البدء بخوض المعركة مبكراً، مما دفع آخرين للانخراط السريع فيها بعدما نجح نموذج أبو مصعب، وهذا الأمر أربك الأمريكيين وحلفاءهم العراقيين لأن الأمريكيين لم يكونوا يتوقعون هذه المقاومة، ولم تكن مدرجة في حساباتهم، كانت هذه هي البداية التي كان لأبو مصعب سبق التهيئة لها وقيادة انطلاقتها. فقد ذكر في خطابه الذي وجهه إلى الأمة الإسلامية في شهر نيسان (ابريل) 2004 أن الغزو الأمريكي يهدف إلى تحقيق ثلاث نقاط:ـ

1ـ إبقاء الأمة الإسلامية في حالة ضعف دائم وحرمانها من أي محاولة ناجحة تسعى لامتلاك القوة المادية التي قد تساعدها على الخروج من دائرة الهيمنة والتبعية التي يترتب عليها الاستمرار بواقع التجزئة ونهب الثروات واستلاب الأوطان، حتى أن القوى الغربية لم تعد راضية عن النتائج التي آلت إليها نتائج التجزئة والتقسيم التي ترتبت على اتفاقية سايكس بيكو قبل حوالي 90 عاماً من الآن. ولنأخذ مثالاً وشرحاً لهذه النظرية وليكن العراق المثال.

كانت أهداف التقسيم الذي سعى له الغرب بعد الحرب العالمية الأولى وبعد اسقاط دولة الخلافة الإسلامية تتمحور في تجزئة العالم العربي والإسلامي جغرافياً مع مراعاة الأبعاد الاقتصادية والديمغرافية من خلال إنشاء كيانات سياسية تدور في فلكه بما يخدم مصالحه، فالعراق مثلاً مساحته حوالي 280 ألف كيلو متر مربع وكان عدد سكانه في مطلع الأربعينات عندما استقل ذاك الاستقلال الشكلي لا يزيد عن أربعة ملايين نسمة وكان دخله القومي في حدود 35 مليون جنيه إسترليني. والعراق اليوم يبلغ عدد سكانه نحو 26 مليون نسمة. لو عادت أموره إلى حالتها الطبيعية كما كانت عليه قبيل حرب الخليج الأولى لبلغ دخله القومي في حدود 40 مليار دولار أمريكي. لم يكن في العراق إلا عدة مئات ممن يحملون الشهادة الجامعية الأولى، واليوم يوجد في العراق حوالي خمسة ملايين يحملون الشهادة الجامعية الأولى، ومئات الألوف ممن يحملون شهادات الدراسة العليا (الماجستير والدكتوراه)، والخلاصة من هذا المثال تقول أن العراق الذي أريد له أن يكون ويبقى ضعيفاً حسب تقسيم سايكس بيكو لم يعد ضعيفاً لا من الناحية الاقتصادية ولا من الناحية البشرية ونوعيتها. وحاولت القيادة السياسية في العراق الخروج من دائرة الهيمنة عندما أعلنت أن بترول العرب للعرب، إذا اصبحت في العراق قوة اقتصادية مع توفر طاقة بشرية مؤهلة والقيادة السياسية في العراق طرأ عليها بعض التغير في نظرتها للأمور السياسية التي تحكم العالم. اجتماع هذه البنود الثلاثة يؤهل العراق في حال ما ترك له الحبل على غاربه من قبل القوى العالمية لأن يصبح قوة عظمى قادرة على التأثير على مجريات الأمور في الإقليم وفي العالم. وهذا يتناقض مع المعادلة التي تحكم الأمور الحالية في هذا العالم، فكان لا بد من التدخل لقطع الطريق على كل من يحاول الخروج من الدائرة.

2ـ الهدف الثاني لغزو العراق ـ وفق قناعة أبو مصعب ـ كان الاستمرار في الحفاظ على أمن اسرائيل، فالعراق القوي الذي تسعى قيادته للخروج من دائرة الهيمنة سوف يشكل خطراً حقيقياً على أمن إسرائيل طال الزمن أو قصر، وأمن اسرائيل لا ينبغي التهاون في التعامل معه بالتأجيل أو عدم الحسم السريع.

3ـ الهدف الثالث: نهب البترول العربي، فالقوة الاقتصادية للأمريكان والتي تدعم الدولار نابعة من عائدات حوالي 25 مليون برميل نفط عربي تصب 75 % من عائداتها في محصلة الاقتصاد الأمريكي يومياً، فإذا ما فقد الاقتصاد الأمريكي هذه العائدات فماذا ستكون النتيجة؟ الخبراء الأمريكان يدركون هذه النتائج والإدارة الأمريكية لا يمكن لها أن تتوانى من اتخاذ خطوات عملية سريعة لمواجهة أي تحد بهذا الاتجاه. إذا كان نفط العراق والسيطرة عليه ونهبه من أهم الأهداف التي دفعت الإدارة الأمريكية لمهاجمة العراق واحتلاله.

هذه هي النقاط الثلاث التي تمحورت حولها الدوافع الأمريكية لغزو العراق حسب رأي أبو مصعب ورأي الإسلاميين الجهاديين في العالم.

أما عن رد أبو مصعب والتيار الجهادي العالمي لإفشال الاعتداء الأمريكي ومنعه من تحقيق أهدافه فيتمحور في النقاط التالية:ـ

1ـ جاء الأمريكان وحلفاؤهم لكي يفشلوا مشروع صدام في محاولة امتلاك قوة تمكنه من الخروج من دائرة الهيمنة والتبعية. رد أبو مصعب والتيار الجهادي كان بقرارهما اتخاذ العراق مركزا محوريا للعمل الإسلامي الجهادي، فحالة الخلخلة الأمنية التي نتجت عن انهيار نظام صدام حسين وعدم قدرة الأمريكان على الضبط والربط المطلوب والناتج عن عدم وجود خطة مسبقة كاملة متكاملة لما بعد سقوط النظام العراقي. أوجدت بيئة خصبة ومواتية للتيار الإسلامي الجهادي للعمل على تنفيذ برنامج متكامل يسعى لإعداد وامتلاك امكانيات بشرية ومادية يعتمدون عليها في بناء جيش إسلامي يطمحون من خلاله إنجاز عملية التغيير والتحرير بالمنطقة، على طريق تهيئة الظروف المناسبة لاعلان دولة الإسلام دولة الخلافة الراشدة، التي بشر بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. والمراقب والمتابع لما يجري في العراق يرى أن الإسلاميين يتقدمون شيئاً فشيئاً باتجاه هذا الجيش وامتلاك القوة القادرة على التحرير والتغير في واقع العرب والمسلمين.

2ـ الهدف الثاني الذي سعى له الأمريكان من وراء اسقاط نظام صدام هو المحافظة على أمن إسرائيل، وعدم السماح بوجود احتمال ضعيف لتهديد أمنها. وادعوا أن النظام السابق كان يشكل تهديداً لأمن إسرائيل، لكن البديل كان رجالا يضعون نصب أعينهم دوماً ضرورة إزالة إسرائيل من الوجود، تنفيذا للأمر الرباني. ويعتقدون أن إسرائيل تشكل عقبة رئيسة تحول ما بينهم وبين الوصول إلى هدفهم الرئيس وهو إقامة دولة الإسلام. ولذلك يواصل العمل ليل نهار لإزالة هذه العقبة، لذلك قررت القاعدة أن تضع على رأس أولوياتها السعي الحثيث للاشتباك المباشر مع اليهود في فلسطين في القريب العاجل. وهم يتصورون أنهم عندما ينجحون فسوف يستميلون جميع أفئدة العرب والمسلمين وقلوبهم، فلا أحد من العرب والمسلمين يختلف على من يناجز إسرائيل ويحاربها. فالذي يقوم بهذا العمل هو الذي يمتلك الأولوية في قيادة الأمة، وهذا الأمر ـ في حال تحققه ـ سيوفر لهذا التيار مزيداً من الدعم البشري والمادي والمعنوي، مما سيقود إلى افشال الهدف الثاني من أهداف غزو العراق.

3ـ جاء الأمريكيون ليحافظوا على وضعهم الاقتصادي المتغلغل ومنعه من الانهيار عبر السيطرة على نفط العراق، فكانت الاستجابة لهذا الأمر من قبل التيار الجهادي هو قرارهم بحرق النفط العربي كله إضافة إلى نفط نيجيريا، وبات هذا التيار مقتنعاً أن إضعاف أمريكا اقتصادياً وبالتالي عسكرياً لن يتم إلا بحرمان الأمريكان من عائدات النفط العربي كله، وتقوم خطتهم المستقبلية للثلاث سنوات القادمة على حرق النفط لإضعاف الأمريكان مما يسهم في تقويض الأنظمة العربية التابعة لها في المنطقة، ويجعلها غير قادرة على مواجهة أي تحد حقيقي قد يواجهها. إذا ما تحقق لابو مصعب وللقاعدة الوصول إلى هذه الأهداف، فان مشروعهم الكبير الذي يسعون لتحقيقه، سيصبح قاب قوسين أو أدنى من التحقيق إذا ما نجحوا في تنفيذ استراتيجيتهم التي تقوم على اخراج القوات الأمريكية من العراق على المدى الطويل، فهم لا يحبذون الانسحاب الأمريكي السريع من العراق، لأن هذا الانسحاب قد يحرمهم من البيئة الجيدة التي يحسنون استغلالها في تحريض الأمة واستفزازها واستنهاض هممها وبعث طاقاتها الكامنة وتفعيلها باتجاه تحقيق أهدافها في الخلاص والانعتاق تحت قيادة اسلامية.

استراتيجية القاعدة

تقوم استراتيجية القاعدة على اقناع الشعوب العربية والإسلامية أن ثمة قيادة إسلامية حقيقية قد خرجت إلى الواقع، وأن هذه القيادة استطاعت برؤيتها الاستراتيجية وبخطواتها التكتيكية تحقيق انتصارات قتالية في ساحات الصراع الدائرة، ولديمومة هذه الانتصارات تخطط القاعدة إلى جر الامريكيين لفتح جبهات جديدة تهدف الى خروج (الأفعى من جحرها) وبذلك يسهل توجيه الضربات من أجل استنزاف القوة الأمريكية، مما يزيد من تخبطها بأعمال تفضح بشكل جلي أهدافها بالسيطرة على الثروات العربية والنفط منه خاصة، وعلاقتها العضوية بإسرائيل. مما يتيح لقيادة القاعدة اقناع المسلمين باستراتيجيتها التي تقوم على توجيه الضربات المتلاحقة للإنكليز والأمريكان في كل مكان، لإجبارهم على رفع أيديهم عن دولة إسرائيل، لتبقى وحدها في الساحة في مواجهة الأمة التي تتوق شوقاً للانتقام والثأر منها على ما اقترفته أيديهم بحق المستضعفين من الفلسطينيين واللبنانيين والعرب أجمعين. تنفيذا للرؤية الشمولية لأبو مصعب والتيار الجهادي العالمي تجاه دولة إسرائيل في فلسطين وهي تقوم على المرتكزات التالية:

1ـ لقد تواكب قيام دولة إسرائيل مع المؤامرة الأوروبية اليهودية التي هدفت إلى إسقاط دولة الخلافة الإسلامية التي كانت تتمثل بالإمبراطورية العثمانية، ففلسطين كانت جزءا مهماً من هذه الدولة، ولم يكن لليهود أو الأوروبيين أن ينجحوا في إقامة دولة إسرائيل لا من جهة القانون الدولي ولا من جبهة المنطق، لو بقيت الدولة العثمانية قائمة. فقد تحالف الغرب مع اليهود، ووضعوا خطة محكمة تولى اليهود تنفيذ بنودها المتعلقة بهدم الدولة العثمانية من الداخل من خلال الاختراق والتآمر، وتولى الغرب عملية الهدم والتقويض الخارجي، وبناءً عليه فان النتيجة تقول أنه كان يتعذر على الغرب وكل اليهود أن يقيموا دولتهم ابتداء، وكان يتعذر عليهم الاستمرار كذلك لو بقيت دولة الإسلام. إذا القوى العالمية بالتحالف مع اليهود هي التي نجحت في إقامة دولة إسرائيل. ولا يمكن للعرب والمسلمين أن يهزموا دولة إسرائيل، إلا إذ أقاموا دولتهم، وكذلك فان التيار الإسلامي الجهادي يسعى جاداً لإقامة دولة الإسلام التي ستكون قادرة على بناء قوة متكاملة مكافئة لقوة الغرب الداعم لإسرائيل، أو قوة قادرة على ردع الغرب واجباره على العدول عن سياسة الاستمرار في دعم إسرائيل وإمدادها بكل ما يلزم، وهذا الأمر كان واضحاً وجلياً في معظم الرسائل التي وجهها أسامة بن لادن وكذلك ايمن الظواهري.

2ـ تواكب قيام دولة إسرائيل مع قيام واقع التجزئة العربية والإسلامية، فما كان لإسرائيل أن تقوم وتستمر حسب رأي هذا التيار لولا وجود هذه الدول العربية المتعددة التي تحيط بها، وكذلك دول الإقليم جميعها، فكان من أهم الوظائف التي أنيطت بهذه الدول هو التهيئة لقيام دولة إسرائيل والحفاظ على أمنها الخارجي بعد قيامها، وهذا ما حصل؛ ففور الإعلان عن نية الانتداب البريطاني بالانسحاب من فلسطين، دخلت جيوش عربية إلى فلسطين، كان الهدف المعلن لدخولها هو تحرير فلسطين، لكن الهدف الحقيقي كان حفظ أمن محيط إسرائيل الخارجي، فاليهود في تلك الفترة لم يكونوا قادرين على السيطرة على كل فلسطين. فلا إمكانياتهم البشرية ولا المادية المتوفرة كانت تؤهلهم لذلك، فكان لا بد من دخول هذه الجيوش حتى يوفروا لإسرائيل الأمن الخارجي ويمنعوا عرب فلسطين وشعوب المنطقة من الاستمرار في المقاومة التي كانت كفيلة بتقويض هذه الدولة الوليدة في تلك الآونة، وكذلك كان من أهداف هذه الجيوش إبقاء الفلسطينيين في حالة ضعف لا تمكنهم من التحضير لاسترداد ما اغتصب من أرضهم، بل وحتى عدم تمكينهم من الاستعداد الكافي للدفاع عن ما تبقى من أرضهم، وهذا ما حصل في حرب حزيران (يونيو) عام 1967 حيث سقط ما تبقى من أرض فلسطين بأيدي القوات الإسرائيلية خلال ساعات معدودة، ودون أدنى مقاومة تذكر من الجيوش التي بقيت، لأن الأوامر كانت تنص على الانسحاب، والشعب الفلسطيني لم يستطع المقاومة لأنه لم يكن يسمح له بامتلاك أي نوع من السلاح يمكنه من الدفاع عن أرضه.

أبو مصعب وتيار القاعدة والجهاد الإسلامي في العالم يربط قوة إسرائيل بقوة الدعم الغربي الممدود لليهود، استنادا إلى قول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم واصفا حالة اليهود «ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس» (آل عمران 111)، والناس هم القوى الغربية ودول التجزئة العربية. ولا يمكن لهذه الدولة أن تزول إلا إذا قطعت عنها حبال الغرب، ولا يمكن لحبال الغرب أن تنقطع إلا بقيام دولة الإسلام، ولقيام دولة الإسلام لا بد من ضرب الغرب الداعم للأنظمة ولإسرائيل حتى يقطع دعمه هذا، أو يجبر على التخفيف منه، وعند ذلك يسهل الانفراد بهذه الأنظمة ويسهل كذلك تقويض دعائم دولة إسرائيل. وترى القاعدة أن هناك ارتباطا جدليا بين هذه الأنظمة وبين دولة إسرائيل. إذا ما ضربوا دولة إسرائيل وأضعفوها فان هذا سوف يضعف الأنظمة وإذا ما قضوا على الأنظمة فان أمر القضاء على دولة إسرائيل في فلسطين سوف يصبح أمراً سهلاً.

مقاومة إسرائيل سوف تكسب تيار القاعدة مصداقية لدى جماهير الأمة، ويثبت أحقيتها بالقيادة. وهذا سوف يهيئ لها مداً بشرياً ودعماً مادياً ومعنوياً يساعدها في الوصول إلى الأهداف التي تسعى لتحقيقها.

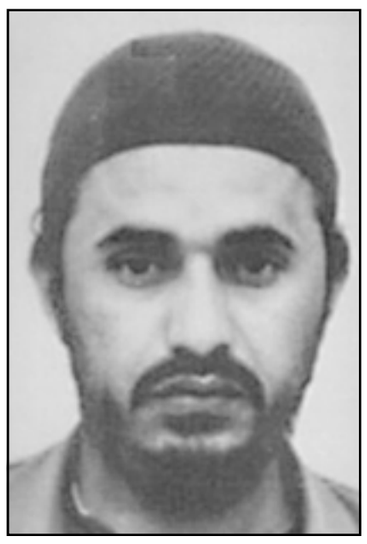

ابو مصعب الزرقاوي

3ـ يعتقد هذا التيار أن دولة إسرائيل ما هي إلا عبارة عن رأس حربة وجهها وزرعها الغرب في قلب العالم الإسلامي، وأن واقع المسلمين سيبقى نازفاً طالما بقيت هذه الحربة في القلب، ويقولون إن القضية الفلسطينية من أهم القضايا المركزية للامة والتي يجب بذل أقصى الجهود، وقد سموا الجبهة التي تم الاتفاق على تشكيلها في سنة 1998 بـ«الجبهة الإسلامية العالمية لمحاربة اليهود والأمريكان» هذه التسمية لها دلالاتها المهمة والتي تربط ما بين اليهود والأمريكان وهذا الربط يعتبر من وجهة نظرهم ربطاً سليماً من الناحية الاستراتيجية والتكتيكية لادارة الحرب والصراع الدائر حالياً في العالم.

بيعة أبو مصعب للقاعدة وأهميتها

أدرك أبو مصعب منذ البداية أن المخاطر التي تحيط بالأمة ليست بالقليلة ولا بالسهلة، ولا يمكن لفرد أو جماعة أو حزب مهما بلغ من التنظيم والإعداد أن يبلغ القوة القادرة على إحداث التغير المنشود منفرداً، وإنما يمكن للتنظيم إذا ما امتلك رؤية صحيحة أن يسعى لاستغلال جميع طاقات الأمة من اجل الوصول إلى هذا الهدف، فالتحدي ليس سهلاً ولا بسيطاً، والاستجابة لهذا التحدي يجب أن تكون بمستواه، فمعسكر أعداء وخصوم الأمة الإسلامية يمتلك من الإمكانيات البشرية والمادية والمعرفية والخبرة العملية ما لم يتوفر لأي حلف أو معسكر على مدار تاريخ البشرية. وانطلاقاً من هذا الفهم فان الخطوة التي اقدم عليها ابو مصعب ابتداءً بفتح قنوات اتصال وحوار مع القاعدة بعد وصوله إلى العراق، أوصل الزرقاوي إلى وضع البيعة التامة لقيادة القاعدة، هذه البيعة أعطت القاعدة نوعاً جديداً من المصداقية، وأضاف إليها أبعادا جديدة من الناحية النظرية والعملية. فأبو مصعب اصبح الآن يمتلك جيشاً لا يقل تعداده عن خمسة آلاف مقاتل متفرغ، يحيط بهم أنصار فاعلون لا يقلون عن عشرين ألف رجل، فهذا الكم من الرجال أضيف إلى تيار القاعدة فمنحها قوة جديدة، أصبحت معه عصية على الكسر أو التصفية والإنهاء، وأضافت إليها مصداقية عالية لدى أبناء الأمة الإسلامية، فهذا الفعل الجهادي الذي يقوم به أبو مصعب وجماعته في العراق، وهذه الإنجازات التي يحققها، تصب في رصيد القاعدة وانجازاتها، ويكرسها قيادة حقيقية للامة، تقول ما تعتقد وتفعل ما تقول.

إن توحد أبو مصعب وجماعته مع القاعدة أعطتهم مصداقية عالية، وأضافت للطرفين عناصر قوة جديدة؛ فالقاعدة وبعد سقوط الإمارة الإسلامية في أفغانستان أصبحت بحاجة إلى مواقع مركزية جديدة، وبيعة أبو مصعب لها أعطتها مركزاً إقليمياً وعالمياً جديداً، وهذا الأمر له من الأهمية الشيء الكثير، منها:

كانت أعمال القاعدة ونشاطاتها العسكرية متباعدة زمنياً، أما الآن وبعد مبايعة أبو مصعب وجماعته لها بات فعلها يومياً وحاضراً في كل ساعة، والأمة وجماهيرها تتابعه بشغف واعجاب شديد، يزيد شيئاً فشيئاً من رصيدها الذي يلزمها لانتزاع الشرعية من أيدي الأنظمة، وباتت الانتصارات التي يحققها أبومصعب في العراق ضد الأمريكان من أهم الأوراق الرابحة في أيدي القاعدة.

للقاعدة تيار واسع في الجزيرة العربية، وهذه المنطقة محاذية وقريبة للعراق. لذلك وفرت مبايعة أبو مصعب للقاعدة، إمكانيات بشرية ومادية لا حدود لها، تمكن الزرقاوي من الاستمرار في مواجهة الأمريكيين، وتعطيه فرصة التصعيد الدائم والمستمر والمرتبط بالاحتمالية الدائمة لزيادة الإمكانيات المادية والبشرية المتوفرة، وإضافة إلى الخبرات الجديدة المكتسبة تباعاً كلما طالت المواجهة وتصاعدت زادت إمكانيات المجاهدين وتعاظمت قدراتهم، وكل هذا يتطابق مع الخطة الاستراتيجية التي وضعتها القاعدة.

إذاً كانت مكاسب أبو مصعب التي ترتبت على مبايعته للقاعدة عديدة، وعلى كل المستويات المادية والبشرية والمعنوية، وسيكون لها الدور الأكبر في نتيجة المعركة الدائرة ضد الأمريكان وحلفائهم في العراق والمنطقة. فالعراق ليس دولة هامشية في المنطقة وعبر التاريخ، فقد كان مهداً لحضارات الإنسان عبر التاريخ، قامت دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة من أرض الجزيرة العربية، وكانت الشام هي المحطة الثانية لهذه الدولة وانتقل مقر هذه الدولة إلى العراق في زمن العباسيين، وهناك بدأت معالم الحضارة الإسلامية بالبروز والظهور والتشكل، والسبب يعود على ما يمتلكه العراق من إمكانيات، فإذا ما تمكن أبو مصعب من هزيمة الأمريكان ونجح في اخراجهم من العراق، فان ذلك سيكون بداية لقيام دولة اسلامية قادرة على القيام بكل التبعات التي ستلقى على عاتقها.

* كاتب وصحافي من الاردن